

قصة

عادل نصار

عيد ميلاد

قرّر والدي، إثر انفصاله عن والدتي، أنّه لن يعيد تكرار تجربة الارتباط بامرأةٍ أخرى، مهما كانت الاعتبارات، متذرّعاً بالفشل الذائع الصيت، في أوساطنا الاجتماعية، لزواج المطلّين، ولاسيّما عندما يكونون قد أنجبوا من زيجاتهم السابقة.

لذلك كنّا نقضي، أنا وشقيقتي الصغرى، أيّامنا في التنقل الدائم بين منزليّ والدينا أسبوعياً، وهما يبعدان بعضهما عن بعض مسافة ساعةٍ كاملةٍ في السيارة، نقطعها ونحن محمّلين بأمّعتنا، وغالباً ما كنّا ننسى جزءاً كبيراً منها في البيت الذي نغادره، الأمر الذي استدعى أن نبتاع أعداداً مزدوجةً من الأغراض تسهياً لحياتنا وحياةِ الدينا اللذين لم يبخلا يوماً في تلبية احتياجاتنا، كبرّ شأنها أو صغر. مرّت أيامٌ طويلة ونحن على ترحالنا هذا، إلى أن جاء يومٌ أعلنت فيه والدتنا نيتها الزواج مجدداً، معلّلة الأمر بحاجتها إلى من يؤنس حياتها وهي في خريف العمر.

دفع ذلك والدي إلى أن يعرض علينا، أنا وشقيقتي، الانتقال إلى منزله والإقامة فيه بصورة دائمة، معللاً ذلك بالظروف غير الملائمة التي فرضتها رغبة الوالدة في الزواج.

رفضنا بطبيعة الحال عرض الوالد، ورفضنا حججه، واتّهمناه بأنّه لا يكنّ الخير لوالدتنا، وأنّ الأمر لا يعدو كونه أكثر من غيرّة في غير مكانها.

أدعن والدي لما قرّرناه، واستمرّت زيارتنا الأسبوعية إلى منزل والدتنا، ولم نُبّر أيّ اهتمام بكلّ الإشارات والملاحظات التي كان يتولّى إصدارها إلينا كلّ من والدتنا وزوجها، والتي تعبّر عن ضيقهما من إقامتنا عندهما. وكانت أحاديثهما تتمحور دائماً حول ضرورة استقلال الأولاد عن أهاليهم عندما يبلغون، كي يخوضوا تجاربهم في الحياة بمعزل عن سلطة الأهل ورقابتهم، مستحضرين بذلك حياة الشعوب الأوروبية والأميركية نموذجاً يقتدى به. إزاء ذلك، كنّا نتصرّف على طبيعتنا، من دون أن يداخلنا الشكّ في أنّنا نحن المقصودون بهذه الأحاديث. فما كان من والدتي وزوجها إلا أن صارحا والدي بالأمر، وقام هو بدوره بإعلامنا برغبتهما في أن نتركهما وشأنهما، وأن نكفّ عن الإقامة عندهما ولو ليوم واحد في الأسبوع.

كان وقع الخبر صاعقاً علينا نحن الاثنين، فانزويينا في غرفتيّنا رافضينّ التحدّث مع والدي الذي حملناه مسؤولية قرار والدتنا، مذكّرين إياها بأنّها رغبته منذ البدء وأنّه استمرّ في الإلحاح على والدتنا حتى أدعت له في نهاية الأمر.

أقمنا عند والدي، ولم تتحسنّ علاقتنا به على الرغم من جهوده المصنّية لجعلنا نَصْفَح عنه. كما أنّنا لم نَفْصَح له المجال للدفاع عن نفسه، دافعين في وجهه سيلاً من الاتّهامات والافتراءات، فارتبك وصرف النظر عن تكرار المحاولة.

أمّا والدتنا، فاستمررتنا في زيارتها مرّة أو مرتين أسبوعياً، من دون الإقامة عندها؛ إضافةً إلى الاتّصال هاتفياً بها من غير أن نتجشّم عناء إزعاجها بأيّ سؤال قد يجرّحها أو يربكها.

لم يمض وقتٌ طويل حتى وقع الخلاف بين والدتنا وزوجها، فانفصلا. دبّ الفرخ في قلوبنا وقرّرنا على عجل ترك منزل والدنا والتوجّه للإقامة في منزل والدتنا بشكلٍ دائم. هذه المرّة استقبلتنا بالترحاب، معلنة أنّها ملّت من العيش وحدها خصوصاً بعد زواجين فاشلين. تركنا والدنا وحده، وما عدنا نزره إلا في المناسبات، ومن باب رفع العتب لا غير. وكنّا كلّما كبرنا عامّاً نزداد تعلقاً بوالدتنا، وبعداً عن والدنا، الذي جاءنا خبر وفاته فجأةً ونحن نقيم حفلة عيد ميلاد لوالدتنا الحبيبة.

♦ - كاتب من لبنان.

مسلسلات مكسيكية مدبلجة

لم أكن أعلم عنها شيئاً، وهي أيضاً لم تعرفني مسبقاً. غير أن ثمة صداقةً تجمّعتنا بزوجين من الأصدقاء المقربين، وقد قرّرت ذات مرّة إقامة حفلٍ بسيطٍ بمناسبة ذكرى تعارفهما.

كانت السهرة رائعة يسودها جوٌّ من التناغم بين الساهرين. وكنتُ نجمَ الحفل لكثرة ما ألقيتُ من نكاتٍ وتعليقاتٍ على مسامع الحاضرين. وكانت هي نجمةً حقيقيةً، لكثرة ما تفاعلتُ مع نكاتي وتعليقاتي.

كانت تثيرها، وتدعوها للضحك، أيُّ حركةٍ أو إشارةٍ أقوم بها. فيعلو صوتُها بشكلٍ هستيريٍّ، وهو ما جعلني أزدادُ ثقةً بنفسِي وبإمكاناتي، على غير ما أنا عليه عادةً.

وقد دفعني ذلك إلى التقدّم نحوها والتعرّف إليها، فقابلتُ بادرتي هذه بالترحاب، وتبادلنا الأنخابَ والإعجابَ: هي بخفةٍ روحي، وأنا بضحكتها وانفعالاتها الصادقة.

تكررتُ لقاءً أتنا بعد ذلك كثيراً. وكانت كلما توطدتُ علاقتنا، ازدادتُ تعلقاً بي وبنكاتي وتعليقاتي.

وكان أن أخذتُ نكاتي تتردُّ شيئاً فشيئاً بعد أشهر قليلة من تعارفنا؛ ذلك أنّي استنزفتُ ما في جعبتي من نكاتٍ ومقالبٍ مضحكة. إلّا أن ذلك لم يؤثّر قيداً أملة في رأي صديقتي، التي بقيتُ تجد في مهرجها الأول وباعت السرور في نفسها، ما جعلني أعتدّ كثيراً بنفسِي وبمواهيبي الفذة، وأفقدني القدرة على الاحتفاظ بتفوقِي الهزليّ. فارتدّ عليّ وبالأحرى، بتّ معه مادةٌ دسمةٌ لتندّر أصدقائي في البداية، ونفورهم منِّي في النهاية. وما عادت نكاتي تُضحك أحداً سوى صديقتي المتشبّثة بأنني ما زلت قادراً على إضحاكها كلَّ يومٍ أكثر من ذي قبل.

وبدلاً من أن أتعظ وأخذ العبر من الإشارات التي كان يرسلها إليّ أصدقائي، عبر انسلالهم منِّي الواحد تلو الآخر معلّين الأمر بأسبابٍ واهية، رحّت أسترسل في حماقاتي لإجبار الآخرين على الضحك، متعمداً إعطاءً أبعادٍ صوتيّةٍ لضحكاتي وأنا أقوم بسرد نكاتي وتعليقاتي الهزلية، ما جعل صديقتي يُغمى عليها افتتاناً وإعجاباً بأساليبي المبتكرة أبداً على حدّ زعمها.

استمرّ الحال على هذا المنوال حتى تزوّجنا. وما كادت تمضي سنةٌ على زواجنا حتى شهدتُ تحوّلَ زوجتي عنِّي وعن نكاتي، إلى الانغماس بكلّ جوارحها في متابعة مجريات أحدث المسلسلات المكسيكية المدبلجة.

بيروت